انفسهم بالكفر فالقوا السلم يعني استسلموا وانقادوا لامر الله الذي نزل عليهم وقالوا ما كنا نعمل من سوء يعني
شركا وانما قالوا ذلك من شدة الخوف بلى ان الله عليم بما كنتم تعملون يعني بلا فايدة لكم في انكاركم قال عكرمة فسمى ذلك
سوءا من قتل من الكفار يوم بدر اذ دخلوا اي فيقال لهم ادخلوا ابواب جهنم خالدين فيها يعني مقيمين فيها لا يخرجون
منها وانما قال ذلك لهم ليكونوا اعظم في الحزن والغم وفيه دليل على ان الكفار بعضهم اشد عذابا من بعض
فلبئس مثوى المتكبرين يعني عن الايمان قوله عز وجل وقيل للذين اتقوا ماذا انزل ربكم قالوا خيرا
وذلك ان احياء العرب كانوا يبعثون الى مكة ايام الموسم من ياتيهم بخبر النبي صلى الله عليه وسلم فاذا جاء الوفد
سال الذين كانوا يقعدون على طرقات مكة من الكفار فيقولون هو ساحر كاهن شاعر كذاب مجنون
واذا لم تلقه خير لك فيقول الوافد انا شر وافد ان رجعت الى قومي دون ان ادخل مكة والقاه فيدخل مكة
فيرى اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فيسالهم عنه فيخبرونه بصدقه وامانته وانه نبي مبعوث من
الله تعالى فذلك قوله تعالى وقيل للذين اتقوا ماذا انزل ربكم قالوا خيرا الاتهم اتقوا الشرك وقول الزور
والكذب يعني انزل خيرا **فان قلت** لم رفع الاول وهو قوله قالوا اساطير الاولين ونصب
الثاني وهو قوله قالوا خيرا **قلت** ليحصل الفرق بين الجوابين جواب المنكر الجاحد وجواب المقر
المومن وذلك انهم لما سئلوا الكفار عن المنزل على النبي صلى الله عليه وسلم عدلوا بالجواب عن السوال فقالوا هو
اساطير الاولين وليس هو من الانزال في شي لانهم عدلوا ولم يعتقدوا كونه منزلا ولما سئلوا المومنين عن المنزل على
النبي صلى الله عليه وسلم لم يتلعثموا واطبقوا الجواب على السوال بينا مكشوفا مفعولا للانزال فقالوا خيرا اي
انزل خيرا وتم الكلام عند قوله خيرا فهو وقف تام ثم ابتدا بقوله للذين احسنوا في هذه الدنيا حسنة
يعني للذين اتوا بالاعمال الصالحة الحسنة لهم ثوابها حسنة مضاعفة من الواحدة الى العشرة الى السبعماية
الى اضعاف كثيرة وقال الضحاك هي النصر والفتح وقال مجاهد هي الرزق الحسن فعلى هذا يكون المعنى للذين
احسنوا ثواب احسانهم في هذه الدنيا حسنة وهي النصر والفتح والرزق الحسن وغير ذلك مما انعم الله على عباده في
الدنيا ويدل على صحة هذا التاويل قوله تعالى ولدار الاخرة خير يعني مما اعد الله لهم في الجنة خير مما يحصل لهم في
الدنيا ولنعم دار المتقين يعني الجنة وقال الحسن هي الدنيا لان اهل التقوى يتزودون فيها الى الاخرة والقول
الاول هو قول جمهور المفسرين لان الله تعالى فسر هذه الاية بقوله جنات عدن يعني بساتين اقامة
من قولهم عدن بالمكان اي اقام به يدخلونها يعني تلك الجنان يعني لا يرحلون عنها ولا يحولون عنها تجري من
تحتها الانهار يعني تجري الانهار في هذه الجنان تحت دور اهلها وقصورهم ومساكنهم لهم فيها يعني في
الجنان ما يشاءون يعني ما تشتهي الانفس وتلذ الاعين مع زيادة غير ذلك وهذه الحالة لا تحصل لاحد في
الجنة لان قوله لهم فيها ما يشاءون لا يفيد الحصر وذلك يدل على ان الانسان لا يجد كل ما يريد في الدنيا
كذلك يجزي الله المتقين اي هكذا يكون جزاء المتقين ثم عاد الى وصف المتقين فقال تعالى الذين
تتوفاهم الملائكة طيبين يعني مومنين طاهرين من الشرك قال مجاهد زاكية افعالهم واقوالهم وقيل
ان قوله طيبين كلمة جامعة لكل معنى حسن فيدخل فيه انهم اتوا بكل ما امروا به من فعل الخيرات والطاعات
واجتنبوا كل ما نهوا عنه من المكروهات والمحرمات مع الاخلاق الحسنة والخصال الحميدة والمباعدة من
الاخلاق الذميمة والخصال المكروهة القبيحة وقيل معناه ان وفاتهم تكون طيبة سهلة لانهم يبشرون
عند قبض ارواحهم بالرضوان والجنة والكرامة فيحصل لهم عند ذلك السرور والفرح والابتهاج فيسهل
عليهم قبض ارواحهم ويطيب لهم الموت على هذه الحالة يقولون يعني الملائكة سلام عليكم يعني تسلم عليهم

الملائكة

الملائكة وتبلغهم السلام من الله ادخلوا الجنة بما كنتم تعملون يعني في الدنيا من الاعمال الصالحة **فان قلت**
كيف جمع بين قوله ادخلوا الجنة بما كنتم تعملون وبين قوله صلى الله عليه وسلم لن يدخل الجنة احد منكم بعمله قالوا ولا
انت يا رسول الله قال ولا انا الا ان يتغمدني الله برحمته وفضله اخرجه في الصحيحين من حديث ابي هريرة **قلت**
قال الشيخ العلامة محيي الدين النووي رحمه الله اعلم ان مذهب اهل السنة انه لا يثبت بالعقل ثواب ولا عقاب
ولا ايجاب ولا تحريم ولا غيرهما من انواع التكليف ولا تثبت هذه الاشياء كلها ولا غيرها الا بالشرع ومذهب اهل
السنة ايضا ان الله تعالى لا يجب عليه شي بل العالم كله ملكه والدنيا والاخرة في سلطانه يفعل فيهما ما يشاء ولو
عذب المطيعين والصالحين اجمعين وادخلهم النار كان ذلك منه عدلا واذا اكرمهم وادخلهم الجنة كان ذلك له ومنه فضلا
ولكنه تعالى اخبر وخبره صدق لا يفعل هذا بل يغفر للمومنين ويدخلهم الجنة ويعذب الكافرين ويدخلهم النار عدلا
منه واما المعتزلة فيثبتون الاحكام بالعقل ويوجبون ثواب الاعمال ويوجبون الاصلح في خبط طويل لهم تعالى
الله عن اختراعاتهم الباطلة المنابذة لنصوص الشرع وفي ظاهر الحديث دلالة لاهل الحق انه لا يستحق احد
الثواب والجنة بطاعته واما قوله ادخلوا الجنة بما كنتم تعملون ونحوها من الايات التي تدل على ان
الاعمال الصالحة يدخل بها الجنة فلا تعارض بينها وبين هذا الحديث بل معنى الايات ان دخول الجنة بسبب الاعمال
ثم التوفيق للاعمال والهداية للاخلاص فيها وقبولها برحمة الله تعالى وفضله فيصح انه لم يدخل الجنة بمجرد العمل
وهو مراد الحديث ويصح انه دخل بالاعمال اي بسببها وهي من الرحمة والفضل والمنة والله اعلم بمراده قوله تعالى
هل ينظرون يعني هولاء الذين اشركوا بالله وجحدوا نبوتك يا محمد الا ان تاتيهم الملائكة يعني لقبض ارواحهم
او ياتي امر ربك يعني بالعذاب في الدنيا وهو عذاب الاستيصال وقيل المراد به يوم القيامة كذلك فعل
الذين من قبلهم يعني من الكفر والتكذيب وما ظلمهم الله يعني بتعذيبه اياهم ولكن كانوا انفسهم
يظلمون يعني باكتسابهم الكفر والاعمال القبيحة الخبيثة فاصابهم سيئات ما عملوا اي يعني فاصابهم
عقوبات ما اكتسبوا من الاعمال الخبيثة وحاق بهم ما كانوا به يستهزءون والمعنى نزل بهم جزاء استهزائهم
وقال الذين اشركوا لو شاء الله ما عبدنا من دونه من شي نحن ولا يعني اي مشركي مكة قالوا هذا على طريق الاستهزاء والحاصل اباونا
انهم تمسكوا بهذا القول في انكار النبوة فقالوا لو شاء الله لحصل حيننا او لم يحصل ولو شاء الله منا الكفر لحصل حيث
او لم يحصل وان كان الامر كذلك فالكل من الله تعالى فلا فايدة في بعثة الرسل الى الامم والجواب عن هذا انهم لما
قالوا الكل من الله كان بعثة الرسل عبثا هذا اعتراض على الله تعالى وهو جار مجرى طلب العلة في احكام الله تعالى
وفي افعاله وهو باطل لان الله تعالى يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد فلا اعتراض لاحد عليه في احكامه وافعاله
ولا يجوز لاحد ان يقول له لم فعلت هذا ولم تفعل هذا اذا كان في حكم الله تعالى وسنته في ارسال الرسل اليهم
ليامروهم بعبادة الله تعالى وينهوهم عن عبادة غيره وان الهدى والضلال اليه فمن هداه فهو المهتدي ومن اضل
فهو الضال وهذه سنة الله في عباده انه يامرهم بالايمان به وينهاهم عن الكفر ثم انه تعالى يهدي من يشاء ويضل
من يشاء فلا اعتراض لاحد عليه ولما كان سنة الله قديمة ببعثة الرسل الى الامم الكافرة المكذبة كان قول هولا
لو شاء الله ما عبدنا من دونه من شي نحن ولا اباونا جهلا منهم لانهم اعتقدوا ان كون الامر كذلك يمنع من جواز
بعثة الرسل وهذا الاعتقاد باطل فلا جرم استحقوا عليه الذم والوعيد واما قوله تعالى ولا حرمنا من
دونه من شي يعني السايبة والوصيلة والحام فلولا ان الله رضيها لنا لغير ذلك ولهدانا الى غيرها كذلك
فعل الذين من قبلهم يعني ان من تقدم هولاء من كفار مكة من الامم الماضية كانوا على هذه الطريقة وهذا الفعل
الخبيث فانكار بعثة الرسل كان قديما في الامم الخالية فهل على الرسل الا البلاغ المبين يعني ليس اليهم هداية

Copyright © King Saud University

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com)